كالبدر عاد وهكذا في الارض تنتقل البدور
فلنا الهناء بوفده تملى به منا السطور
وله الدعا منا بما تحوي من الود الصدور

بنده
صاحبة مجلة انيس الجليس
الكسندره افيرينوه

الحياة والمدنية

نشرنا في الجزء الماضي مقالة طويلة بعنوان الجرائم والمدنية وقد سرنا ان كان لها حسن الوقع لدى جمهور القراء ولكننا نرجو ان نسر بتحقيق ما املناه من ان لا تكون المدنية عندنا موصولة بالجرائم بعناية ذوي الحكم منا ان شاء الله

ونحن نذكر الآن في مقالنا هذا علاقة الحياة بالمدنية وبالتالي طول العمر مع هذا التمدن الحاضر لاننا اذ قد ذكرنا مضار المدنية في الجزء الماضي فانه يعز علينا ان نجردها من المحاسن ونتركها غفلاً من الثناء والمديح ولا سيما وان حسناتها تزيد جداً على مساوئها ولولا ذلك لما سميناها مدنية واجتمعنا بسببها كل هذا الاجتماع وعمرت منازلنا ومدائننا كل هذا العمران

فلقد روت لنا التواريخ ايام لم تكن هذه المدنية الجديدة والاختراعات الحديثة ان الانسان كان يعيش خمسمئة عام فاكثر حتى لقد اوصلوا عمر الانسان الى الف عام وهو ما لا يكاد يصدق على اي حال من الاحوال ولكنك لو جادلت القائلين بذلك لقالوا انه صحيح وان المرء كان يعيش هذا العمر الطويل

ايام لم تكن المسكرات ولا الملاعب والمفاسد والسهر الطويل مما اضنى الصحة بالتدريج ونزل ببني الانسان من ذلك العدد الكثير الى هذا العمر القصير

ثم يقول البعض ان العام الذي يشيرون اليه لم يكن سنة بتمامها كسنتنا المعروفة الان وانما كان فصلاً وكان الفصل يسمى عاماً فعلى هذا تكون اربع سنين من سنيهم معادلة لسنة واحدة من سنينا وهو اعتبار ينزل بدرجة المبالغة قليلاً كأن يصبح عمر الانسان على حسابهم ومعتقدهم نحو مئتي سنة ولكنه لا يجعل قولهم صحيحاً ولا حجتهم مقبولة

على ان قولهم لو نظر اليه من جهة العقل والقياس لوجب اعتباره والاعتداد به لانه لا مشاحة في ان حسن الصحة وتمام العناية بالعافية والابتعاد عن المسكرات والسهر كل ذلك مما يعين على طول الحياة لانه يمنع السقم وانتهاك القوى ونحن لو اعتبرنا ان الانسان كان يعيش ذلك العمر الطويل من خمسة آلاف سنة مثلاً ثم اخذت المدنية تسري فيه بالتدريج وينقص عمره كذلك حتى اصبح على حاله المعروفة الان لكان الاعتبار صادقاً وهي حال نشاهدها الان بالافراد وقد تصدق على الجميع

ولكننا سواء اعتبرنا قولهم صحيحاً او كاذباً فنحن الان ننظر الى المدنية الحاضرة وما افادت به الانسان فنجد ان عمر عشرين سنة على هذه المدنية لهو اطول وانعم جداً من عمر الف سنة في تلك الايام لاننا نطالع التواريخ القديمة ولا نبعد بها الى آلاف سنين بل الى مئتي سنة فما بعدها فنجد ان الانسان كان اذا اراد ان يسافر من سوريا الى مصر مثلاً للزمه نحو ثلاثة شهور يقضيها على ظهور الجمال ومتون الخيل متعرضاً لاشد حالات الطبيعة وافتكها به واكثرها له مضايقة واعناتاً فهو لو كان تاجراً مثلاً لما امكنه ان يسافر في العام كله الا

مرتين فقط هذا اذا جعل حياته كلها سفراً متصلاً او مرة واحدة اذا كان يستريح قليلاً واما الان فقد صارت المسافة بيننا وبين سوريا نحو ثلاثة ايام بسبب قوة البخار فصار المسافر منا يستطيع ان يسافر في السنة نحو مئة مرة اذا كان تاجراً فهو على هذه الحال يكون عمره زائداً نحو مئة ضعف عن زميله التاجر القديم

ولقد كان الرحالة القديم يقضي الثلاثين والاربعين عاماً من عمره جائلاً في الدنيا ممتطياً ظهر جواده او متن سفينته الشراعية فلا يزور الا قليلاً من ثغورها او يجول قليلاً في داخليتها ثم يرجع وهو يظن انه قد بلغ الارض كلها واطلع على معظمها وهو في الحقيقة لم يطلع الا على ما يراه المسافر منا في اسبوع لان الرحالة منا في هذا العصر يطوي الدنيا كلها من شرقها الى غربها في اقل من ثلاثة اشهر وقد يشاهد اكثر مدنها وممالكها مشاهدة مؤرخ محقق في اقل من ثلاث سنين وهو ما كان يستحيل من قبل واذا فرضنا انه تم وحصل فانه يقتضي ثلاثمئة سنة على الاقل وهي كل عمر ذلك الانسان الذي يزعمونه مع ان الثلاث السنين من عمرنا الحاضر انما هي جزء من عشرين او ثلاثين من كل العمر المألوف

على ان محاسن المدنية لا تقف عند هذا الحد من سعادة الانسان فيما يتعلق بفكاهته ولهوه او زيادة معرفته واطلاعه بل قد تناولت نفس السعادة الحقيقية من تخفيف آلامه ومنع المضرة الشديدة عنه ونحن اذا اعتبرنا ان الموت راحة وان منعه عن الانسان لا يعد اسعاداً له لدى التحقيق والتأمل فمما لا شك فيه ان تخفيف آلام الموت او سائر الالام لهو نفس السعادة وعين الغبطة فلقد كان يجرح الانسان من قبل في حرب وسواها فاذا كان جرحه عظيماً مات به

بعد حين قليل مقاسياً اشد الالم والعذاب والا قضى دهراً طويلاً متألماً ثم عاش لا تعدل بقية عمره وسعادته ما مر من عيشه والمه . واما الان فقد صار علاج الانسان في كل شيء سهلاً جداً ويكاد يكون بلا الم بالاطلاق فاذا اعتبرت ان سعادة الانسان الحقيقية هي ان لا يصاب بسوء وان لا يتألم جسده فليس بعد سعادة هذه الايام سعادة واذا اعتبرتها بكثرة الاطلاع والتملي من التجارب والاكثار من الملذات الحيوية كانت كذلك ايضاً لان المرء في ايامنا هذه يستطيع ان يلهو وينعم على فقره بما لم يكن يستطيع ان يناله هارون الرشيد على عظم ثروته وضخامة ملكه وحسبك ان الواحد منا لو خطر له لهو يقضيه في القاهرة او حاجة ينالها منها لذهب اليها ورجع عنها في اقل من يوم واذا اراد ان يعلم ما في الصين او يستجلب شيئاً منها كان امامه رسول البرق الخاطف وحاجب البريد السريع واذا شاء وهو نائم على سريره في نصف ليله والبرد شديد والمطر منهمر ان يحادث صديقه على بعد اميال عديدة فما عليه الا ان يقرع جرس التلفون فيتحدث بما يشاء مع من يشاء وحقاً ان سليمان على عظمة ملكه لم يكن يجسر ان يحلم بانه يستطيع ان ينال من هذه المذكورات شيئاً ولو كان ولي الريح وقائدها ولا هارون الرشيد المشهور بالملذات والنعيم يقدر ان يلهو وهو في ابان مجده وبسطة ملكه بما يلهو به العامي الفقير في هذا العهد الاخير بل لو قلنا ان هارون الرشيد كان يستطيع ان ينال بوافر ماله وقوة رجاله ما نستطيع ان ناله نحن الان بالسرعة ووسائل المدنية اذن فكل مدني في هذه الدنيا يعدل الان هارون الرشيد وكل بني الناس الحاضرين يعدون ملوكاً على هذا القياس

ولا تستبعد ذلك ايها القارئ والقارئة فانتما الان في نعيم لو تعلمان عظيم

فلقد كانت الامم الخوالي تذوب من قبل شوقاً لان تعلم كلها القراءة فلم تكن تعلم وكان يتمنى كل امرىء ان يكون عنده كتاب واحد على الاقل فلم يكن يجد واما الان فالمدارس ملء المنازل والمطابع ملء الدنيا والكتب تملأ العيون والاذان حتى لقد تحرق مكان الحطب وتعد ارخص سعراً

وماذا عسى نصف من محاسن هذه المدنية الجديدة فانك حيثما التفت في عصرك هذا لا تجد الا السرور الحقيقي والسعادة المحضة واذا كنت تجد نفسك معدماً او غير سعيد في هذا العهد فاعلم انك لو كنت في مثل حالك من قبل لكنت ادنى مما انت بكثير واسفل واحط جداً لو كنت تتصور فان المجاعات كانت تجتاح جماعات الانسان حتى يسطو الوالد على ولده من شدة الشقاء وكان الويل يحدق بالبلدة الواحدة فلا تجد منه محيصاً ولا فيه شريكاً حتى تفنى جوعاً وتهلك شقاء على افظع ما يتمثله العقل ثم لا يعلم بها احد حتى يأتيها بمدد الا وهي جرداء . وكان الطاعون يصيب البلدة ويتناول المملكة قرية قرية وهو يفتك في اهلها فتك النار في الهشيم وهي تنتظر ان تفنى كلها او يمل منها الموت فيبقي على بعضها واما الان فلا يموت احد جوعاً الا بعد ان تتحطم قطر الحديد وتتقطع اسلاك البرق وتجدب كل الارض ولا يتناول الطاعون او الهواء الاصفر احداً الا وقد مل من مقارعة الطبيب ومكافحة العلاج . فانت الان اذا كنت تعد نفسك تعيساً فذلك لانك ترى نفسك غير سعيد وشتان بين التعاسة وعدم السعادة بل انت قد تحسب نفسك غير سعيد لانك لا تركب المركبات ولا تمشي بك الخيل واما غيرك من قبل فقد كان غير سعيد لانه يموت جوعاً ويهلك عرياً وبرداً . واذا كنت تعلم ان المدنية تجلب الحياة وتكثر اعداد بني الانسان فاعلم ايضاً ان الدنيا منذ ما نشأت الى هذا

العهد لم يكن فيها مدينة حوت مثل من حوتهم باريز ولندن وان قارة واحدة من قارات الارض تعدل بعدد سكانها الان جميع سكان الارض في تلك الازمان وكلهم ينعمون ويلذون وليس الشقاء عندهم الا نسبياً فقط

المال والجمال والكمال

ان للناس في اختيار الزوجات اميالاً ان لم تكن محصورة في هذه المطالب الثلاثة فهي امهاتها والمواد التي تصدر عنها

فكل من الطلاب له غرض منها يرمي اليه وحظ فيها يبغي الحصول عليه حتى اختلفت لاجل ذلك افكارهم وتعددت مذاهبهم وآراؤهم

فاما طلاب القسم الاول فيحكم لهم بالفوز وحوزة السبق ولوانهم على غير الحق هذا الوفاق والاتفاق الذي ظهر في جميع الشعوب وبين عموم الطوائف لا فرق فيه بين شرقي وغربي ومسلم ومسيحي ولا يختلف فيه الكبير والصغير والعظيم والحقير فكلهم يطلب ان تكون عروسه عروس الكنز المزعومة او ابنة سليمان او ارملة قارون الزمان فلا يرقم المسجل في سجل المواليد اسم مولودة من سلالة غنية الا وقد رمقها الكل وازدحمت على بابها اقدامهم وكثرت امانيهم واحلامهم ولا ينقل الناقل ان احد الاغنياء اصبح طريح فرشه الا والامال في ارملته جهزت له نعشه وربما كان بسبب امرأته شكواه فلا حول ولا قوة الا بالله

واذا كان الامر من هولاء كذلك فلا اتعب في الباطل ولا اجهد فيما لا يجدي ولا اسأل الناس ما الذي يسوقهم بجملتهم الى هذا المطلب وهو لوصح